استراتيجية النقل الديداكتيكي وأهميته في تدبير العملية التعليمية التعلمية

بو كرامي رشيدة
أستاذة الثانوي التأهيلي
دكتوراه في العلوم الشرعية جامعة عبد المالك السعدي بتطوان
المغرب

تقديم عام

يحتل مفهوم النقل الديداكتيكي موقعا مركزياً في ديداكتيك العلوم تحديدا. ولقد برز هذا المصطلح إلى الوجود لأول مرة في حقل ديداكتيك الرياضيات مع " سوفايارد" ويلائم نوعية المضمون العلمي الذي يريد نقله أي النقل الديداكتيكي: من المعرفة العالمة أو الأكاديمية إلى المعرفة المقررة للمتعلم.

بذلك يصبح النقل الديداكتيكي عبارة عن تحويل فعلي للمعرفة، تبتعد فيها عن حالتها الخام أي كما أنتجت في سياق سوسيولوجي محدد، لتصير مادة مدرسية تخضع إلى شروط وقوانين.

I. النقل الديداكتيكي:

1. تعريف النقل الديداكتيكي:

يمكن تعريف النقل الديداكتيكي حسب "شوفايارد" بمجموع التحولات التي تطرأ على معرفة معينة في مجالها العالم من أجل تحويلها الى معرفة تعليمية قابلة للتدريس. وبالتالي النقل الديداكتيكي نشاط اختزالي وعمل انتقائي يهدف تحويل المعرفة من مجالها العالم وفق إنتاجها الطبيعي إلى الجمال التعليمي المدرسي حسب شروط ومعايير خاصة. ومنا خلال التعريف يمكن التميزبين:

المعرفة العالمة	المعرفة المراد تدريسها	المعرفة المدرسة
وهي المعرفة المنتجة من طرف المختصين وتتضمن مفاهيم ومعارف مجردة يستحيل ادراكها من طرف التلميذ	تتمثل في البرامج الرسمية المسطرة وهي في مجموعها مشتقاة من المعرفة العالمة	تتمثل فيما يقدمه المدرس لتلاميذتها عبر وضعيات ديداكتيكية معينة ووسائل. تعليمية محددة مما يعكس المنهاج الدراسي.

2. مراحل النقل الديداكتيكي:

النصوص الأصلية	المعرفة العالمية
الباحث	المعرفة المعدة للتدريس (البرامج – الكتب المدرسية)
المدرس	المعرفة المدرسة (توظيف الكتب المدرسية)
المعرفة المتمثلة (الثمثلات)	التلميذ

3. شروط النقل الديداكتيكي ووظائفه

- شروط النقل

1-إزالة الشخصنة وتجريد المعرفة من الرواسب الذاتية والخلفيات النظرية الإيديولوجية

2-الحفاظ على جوهر المعرفة حيث تتسم المعرفة العلمية بالتكامل والنسقية

3-تجريد المعرفة من سياقها عبر حذف القانون الابستمولوجي للمعرفة العالمة وتغيير تاريخيها وسيروراتها الداخلية وتجريدها من السياق العام الذي كانت تعالجه

4-برمجة وتكييف المعارف حيث يستوجب بناء مقرر دراسي خاص يراعي ويلائم مستويات المراحل النفسية والنمو المعرفي للمستهدفين على مستوى السن والزمن

- وظائف النقل الديداكتيكي

1-تبسيط المعرفة العالمة لتصبح قابلة للتدريس في مستويات مختلفة

2- تحقيق التوافق والتلاؤم بين النظام التعليمي ومحيطه الانساني عن طريق البعد الاجتماعي المعرفة

3-وسيط بين المعرفة العالمة والمعرفة المدرسية

4. المدرس والنقل الديداكتيكي:

ينحصر دور المدرس في تحويل المعرفة المعدة للتدريس إلى معرفة مدرسية موازاة مع دور المتعلم، وهو بذالك مطالب بتحليل المعرفة المراد تدريسها من خلال:

تحديد شبكة المفاهيم المراد تدريسها

↓

مراعاة مستوى صياغة المفاهيم للفئة المستهدفة

↓

ضبط تاريخ المفاهيم المراد تدريسها

↓

مراعاة تمثلات التلاميذ

↓

الإلمام بالعوائق الإبستمولوجية المتعلقة بالمفاهيم المسطرة

↓

اختيار الوضعيات التعليمية المناسبة لتقييم المفاهيم مع تجنب تقديمها جاهزة بل تحفيز المتعلم للتعلم الذاتي

وعليه فأهم مهارة ينبغي أنا يمتلكها المدرس لجذب اهتمام متعلميه هي مهارة النقل الديداكتيكي وهي المهارة الغائبة لدى جل الاساتذة في ممارساتهم الصفية، لأن عملية النقل الديداكتيكي تعتبر عاملاً من عوامل إنجاح ممارسة أي مدرس الذي يبقى على الدور الكبير في تبسيط المعرفة العالمة وجعلها قابلة للتدريس في مستويات مختلفة.

II. هل يمكن أن نتحدث عن النقل الديداكتيكي في مادة التربية الإسلامية؟

اعتبارا مما سبق في تعريف النقل الديداكتيكي الذي مفاده هو مجموعة التحولات التي تطرأ على معرفة معينة في مجالها العالم من أجل تحويلها إلى معرفة تعليمية قابلة للتدريس وبالتالي تكون لدينا نوعين من المعرفة:

معرفة عالمة. هو المستوى الذي تكون فيه المعارف متناثرة ومتفرقة في بطون أمهات الكتب.

معرفة تعليمية هي نتاج المعرفة العالمة منتقاة انطلاقاً من بعض الشروط والمقاييس الخاصة.

وعلى هذا الأساس فإن مفهوم النقل الديداكتيكي عبارة عن عمل وصفي انتقائي لتحويل المعرفة من مجالها العالم إلى مجال التعليم في سياقه العلمي. إذا هل يمكن أن نتحدث عن النقل الديداكتيكي في مادة التربية الإسلامية؟

معلوم أن التربية الإسلامية: نشاط للتنشئة يمارسه الإنسان ويعتمد في ذالك على القرآن الكريم والسنة النبوية، وعلى هذا الأساس فمجال المعرفة العالمة يتحدد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وتخريجات العلماء المسلمين، المبنية على فهم النص وتفسيره وهذا الكم من المعرفة لا يمكن تدريسه للمتعلمين في صورته الاصلية لذلك ننتقي ما ندرسه لتلامذتنا.

فالنقل الديداكتيكي في مادة التربية الإسلامية شي بالغ الخطورة سواء في طريقة تناول نصوصها ونقلها للمتعلمين، أو في فهم معاني هذه النصوص وقد بينا أقطاب هذا النقل ومراحله في بداية العرض وقسم إلى أربع مراحل

- ✓ المعرفة العالمة: النصوص الأصلية.
- ✓ المعرفة المعدة للتدريس: الباحث.
- ✓ المعرفة المدرسة: المدرس.

المعرفة المتمثلة:التلميذ.

ويظهر لنا جليا من هذه المراحل الدور المهم للباحث الذي ينصب بالأساس على ضبط المواضيع المراد تدريسها وعلى انتقائها انطلاقا من الكتاب والسنة وآثار العلماء، وهذا يتطلب منه أن يكون على وعي تام بخصائص كل من المعرفة العالمة والمادة التعليمية ونوضح ذلك في الخطاطة التالية:

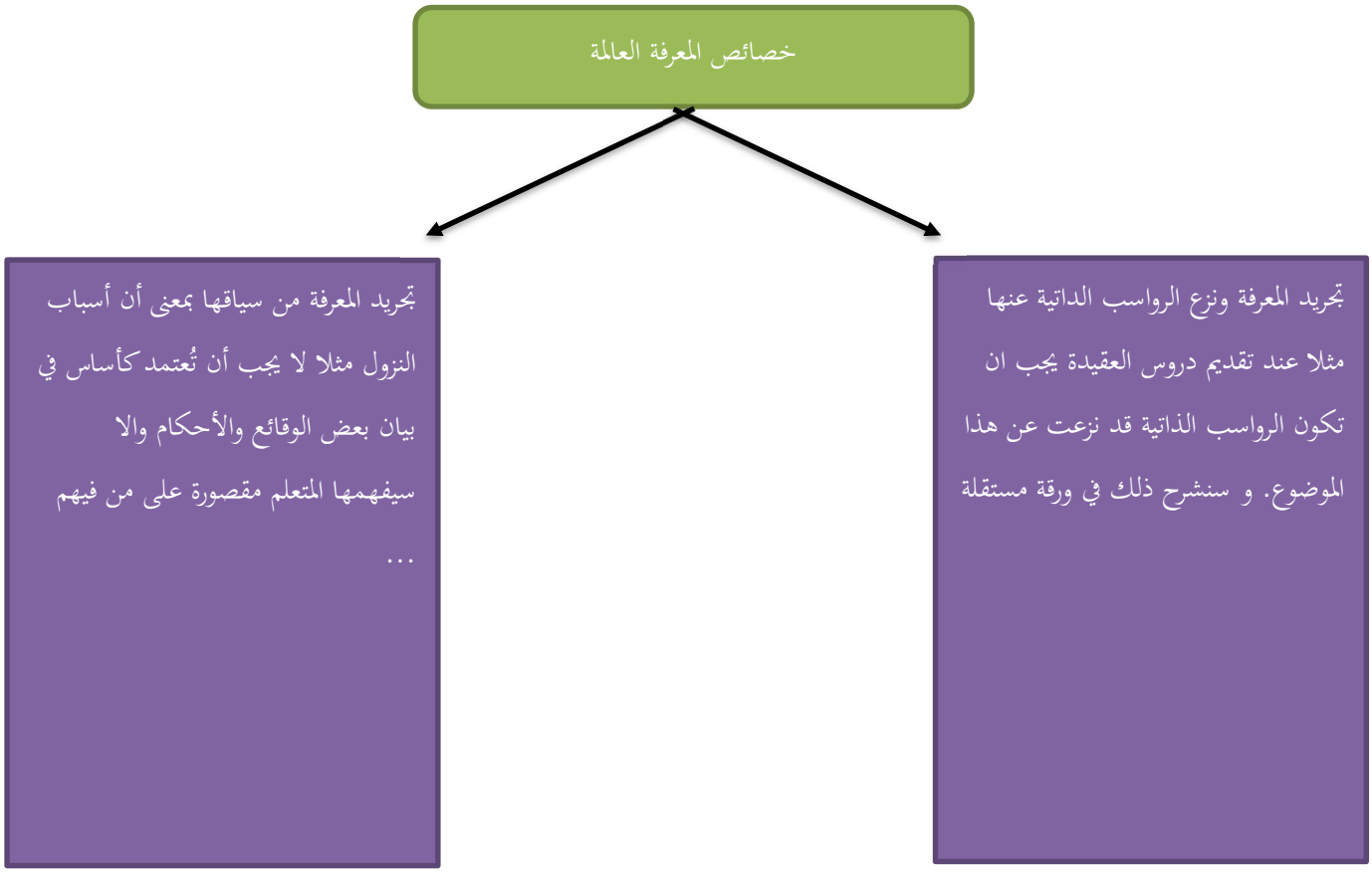

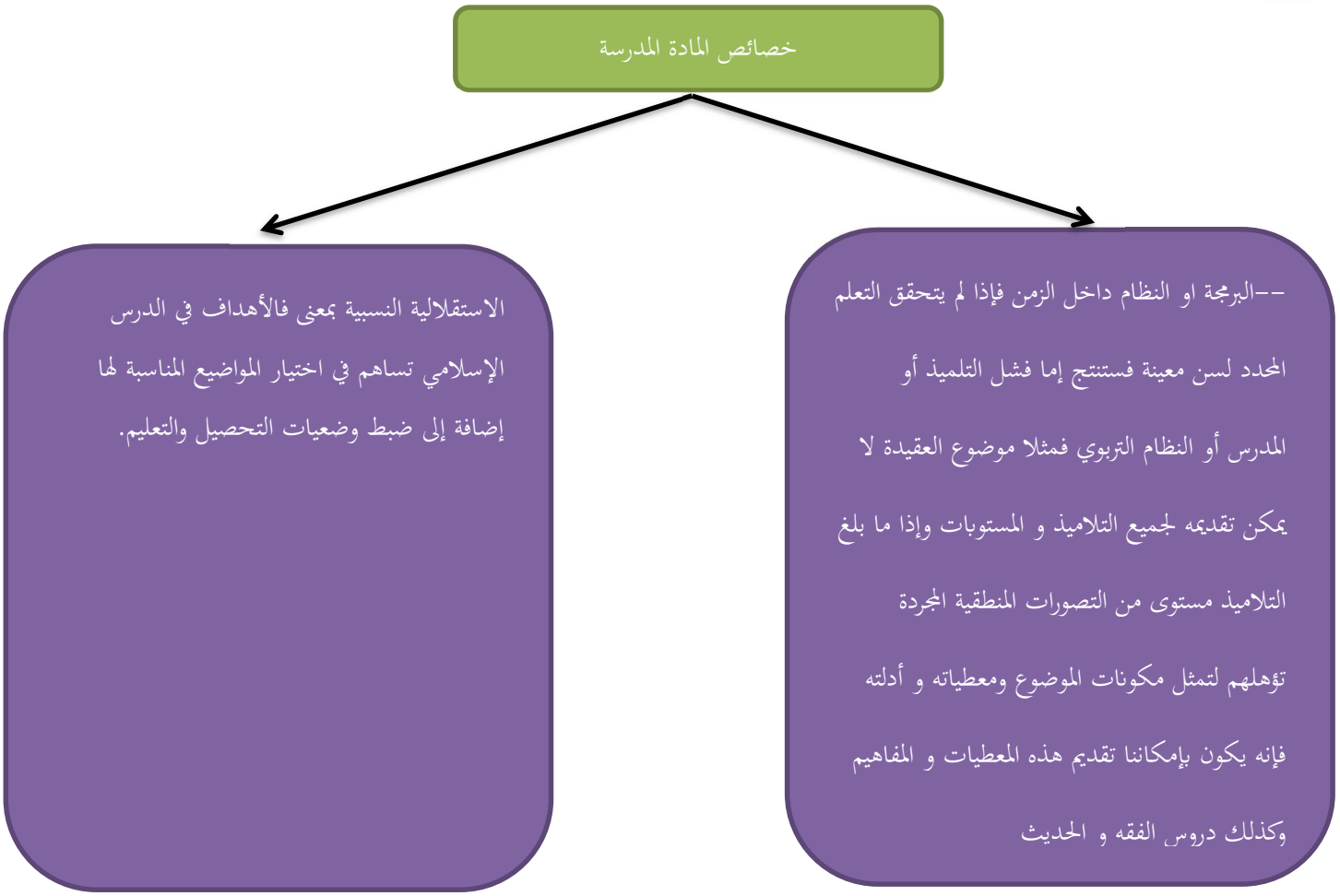

و داخل هذا النشاط الديداكتيكي نستحضر دور المدرس و التلميذ، فالمدرس مطالب بنقل المعرفة المعدة للتدريس إلى معرفة مدرسة و ذلك بموازاة مع دور المتعلم و هو في الحقيقة لا ينقل إلا جزءا خاصا دعت إليه الضرورة الاجتماعية، و هناك مجموعة من الاعتبارات التي يرتكز عليها المدرس في نقله لهذه المعرفة إلى المتعلمين و هي كالتالي:

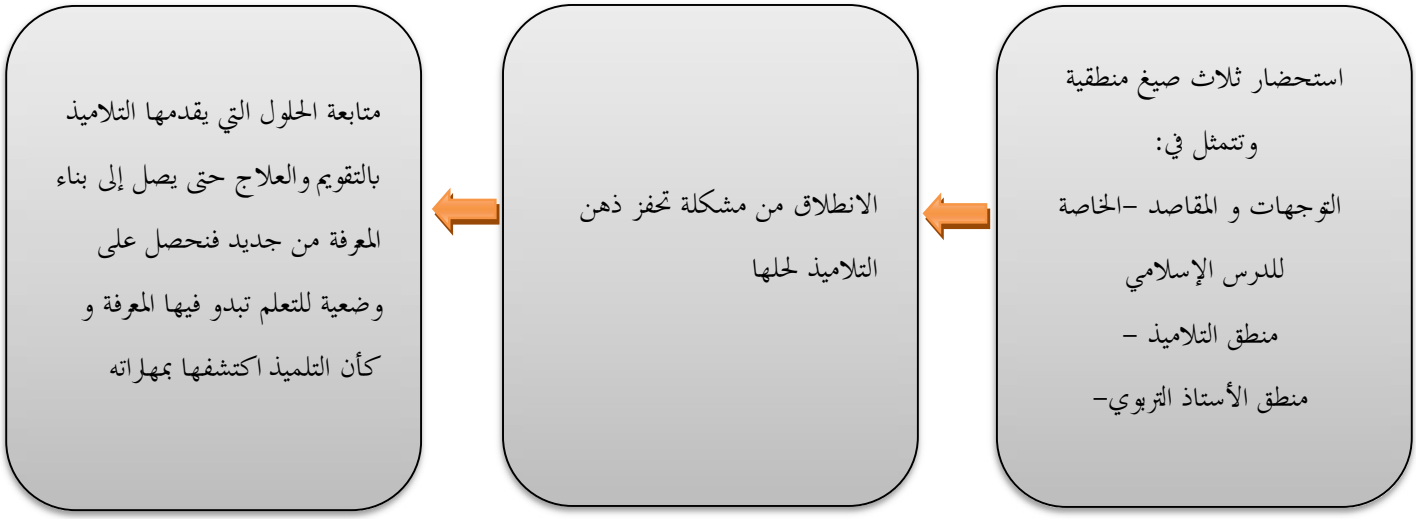

III. النقل الديداكتيكي للدرس العقدي في التعليم المدرسي

ان مما يعانيه الدرس العقدي في التعليم المدرسي ذلك التنميط في عرض مسائله وقضاياه، بين تعقيد في منهج تدريسه وبسط ودلالته، مما يؤدي الى غموض في تقريب مفاهيمه ومصطلحاته وحقائقه وبين تبسيط ونقل مخل للمعرفة العقدية قد يقضي بالمدرس الى تشويه منطقها تارة والوقوع في. التشبيه والتجسيم تارة أخرى.. دون ربط هذا الدرس بواقع المتعلم، وحاجاته، رغم حجم الإشكالات المطروحة والشبهات المعروفة.

كل ذلك دون مراعاة للفئات المستهدفة ، ودون استيفاء للشروط المطلوبة لاستيعابه على نحو قويم تعلما وتعليما من خلفيات نظرية وأدوات وأسس علمية من قبيل الوعي بخصائص العقيدة والتمييز فيها بين القطعي والظني ، والقدرة على تجريد مفاهيمها عن السياقات التاريخية والانطباعات الاديولوجية، وربطها بالنص وما يقرره من عقائد، وما يسوقه من دلائل وبراهين في بساطة ووضوح وهذا ما أحتيج معه إلى إعادة النظر في النقل الديداكتيكي للدرس العقدي في التعليم المدرسي وطرق بناء قضايا العقيدة المقررة في أسلاكه اصولا ففروعا موازاة لنمو معارف المتعلم ، ومراعاة لمكتسباته وحاجاته...

وإذا كان ثمة أسباب جمة تدعو الى ضرورة الاهتمام بالنقل الديداكتيكي في الدرس العقدي ، فإن الصعوبات التي تطرحها الطبيعة الابستمولوجية للمفاهيم العقدية تحديدا، والتي تتميز بالتجريد و بالتعدد المذهبي في طرق إثباتها ومسالك الاستدلال عليها تحتاج إلى مصفاة النقل الديداكتيكي لأجل إعدادها للتدريس بشكل ينسجم مع الإشارات التربوية الصريحة أو الضمنية في الوثائق الرسمية ، و مع الرؤية المنهاجية لمادة التربية الاسلامية هذا الاعداد الذي لا ينبغي أن يغفل البحث عن أنجع الطرق والأساليب التي تضمن انخراط المتعلم في بناء الدرس العقدي من خلال وضعيات وأنشطة تعليمية مختلفة.

وقد نص منهاج مادة التربية الإسلامية الجديد على مقتضيات مرجعية وبيداغوجية هي بمثابة إشارات ديداكتيكية تتعلق بتدريس العقيدة ومنها تأكيده على ضرورة اعتماد مقاربة تتجاوز الخلافات الكلامية، وتربط المتعلم بالأبعاد العملية للاعتقاد السليم المؤطر لسلوكه وقيمه وتفاعله مع الغير وذلك في اطار وحدة المذهبية العقدية الأشعرية كما أكد أن – دروس المادة تستند الى خصوصية المعرفة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة النبوية.

والقرآن الكريم عاب على من يتعمد الغموض في المفاهيم ابتغاء التضليل والتجهيل وهو ما يفرض تبسيط مفاهيم الدرس العقدي وتوضيحها و جعلها أكثر تحديدا للمتعلمين و المتعلمات.

كما أن تنصيص وثيقة المنهاج على مبدأ تأصيل المفاهيم الشرعية انطلاقا من المرجعيات الشرعية (2)يوجه المدرسين نحو ضرورة الالتزام بتأصيل المفاهيم العقدية انطلاقا من المرجعيات الشرعية المحددة أساسا في القرآن والسنة النبوية.

زيادة على ذلك فإن ما توخاه منهاج المادة، ترسيخ عقيدة التوحيد وقيم الدين الإسلامي على أساس الإيمان النابع من التفكير والتدبر والإقناع وتثبيتها في نفس المتعلم انطلاقا من السور المقررة في المنهاج الدراسي .

مما يدعو الى وجوب إشراك المتعلم في بناء مفاهيم العقيدة ومضامينها ولعل تنبيه المنهاج الى المهارات الأساسية المستهدفة سواء في بناء الدرس أو تقويم التعلمات والسلوك على اسس العقيدة الاسلامية.

ومن هنا لكي يحقق المدرس، المقاصد الجليلة من درسه العقدي يكون مضطراً للبحث عن خصائصه او منهجية بنائه، وطرق تدريسه لينظر أكان هذا الدرس جاريا على خطة بنائه وفق جملة سماته وخصائصه.

ويبقى البحث في النقل الديداكتيكي للدرس العقدي في التعليم المدرسي عملاً مهما لتجويد تدريسية المادة العقدية وهذا يدعو أساتذة مادة التربية الاسلامية طرح مجموعه من الإشكالات في هذا الموضوع :

- ما خصائص النقل الديداكتيكي في الدرس العقدي بالتعليم المدرسي؟
- الى أي حد استطاعت الكتب المدرسية تنزيل مقتضيات المنهاج الجديد على مستوى بناء الدرس العقدي في التعليم المدرسي؟
- ما هي الصعوبات التي يواجهها المدرس أثناء تدريس دروس العقيدة في التعليم المدرسي ؟
- ما طرق تقويم الدرس العقدي في التعليم المدرسي؟

الهوامش:

(1) منهاج التربية الإسلامية بسلكيه الثانوي والإعدادي التأهيلي يونيو 2016 ص 540

(2) المنهاج ص5